HexaTimes
Delaware, United States
HexaJournal
of Arabic Language Sciences
هكسا جورنال
علوم اللغة العربية

الزمن السردي وتمثلاته من خلال المشي

محمد نعار شريف نهاري

الملخص

لا شك أن الممارسة بتراكمها تتنزل سلوكا والسلوك هذا يمتد ليصل إلى دافع نسقي ثقافي وعلى هذا الأساس تكون أصالة الفعل داخل نسق ثقافي ويجد مجاله الفكري وإبداعه ومن خلال ذلك يمكننا أن نعتبر الذاكرة العربية مرتبطة بهذه الثقافة القائمة على المماثلة والمشاكلة بين السلوك والفكر ولهذا كان الشعر العربي ديوان العرب يعرف بها حاله وحله وعلى هذا الأساس كانت الأزجال الأولى وهي تحاكي حركة وسكون الناقة ويتمثل المشي في السرد ممثلا في السرد اعتبارا لحال العربي الذي عرف بترحاله وإن كان ذلك تمثل شعرا ولكن أمكننا أن نتمثل ذلك سردا، من خلال منظور زمن الرحلة وعلى هذا الأساس أردنا أن نقتفي هذا الأثر من خلال نماذج .

الكلمات المفاتيح سرد ،مشي ،زمن ،تمثل ،منظور..

Abstract

There is no doubt that practice, with its accumulation, descends into behavior, and this behavior extends to reach a cultural coordinating motive, and on this basis, the originality of the act is within a cultural system and finds its intellectual field and creativity. Through this, we can consider the Arab memory linked to this culture based on similarity and the problem between behavior and thought. The Diwan of the Arabs defines his condition and his solution, and on this basis, the Azjal was the first, and it simulates the movement and stillness of the camel. We wanted to trace this effect through models.

Keywords: narration, walking, time, representation, perspective.

مقدمة

اعتنت اللغة العربية بالكلمة وجعلتها نواة أولى في معرفة وفهم الصور، التي تشغل بال الباحث في معانيها في سوق التداول ،حين تتوجه لمصلحة ما ،نحو معنى جديد وكلمة (الكلمة والكلم : الجرح) ولهذا تكتسي الكلمة أثرا دلاليا يعمل على توليد المعاني من المباني في أوزان واشتقاق محدود وعلى هذا الأساس أردنا أن نختار هذا الموضوع في معالجة بينية تنتقل بنا من حقل اللغة ووظيفتها من خلال الحقل المقصدي في بعده اللساني (نظرية الفعل اللغوي) إلى حقل السرد وما يمكن أن يدّره هذا البين من بيان وتضافر وتجسير بينهما، ابتغاء الحكمة التي يمكن أن تعطيها لنا الحياة عبر سلوكات نمارسها في العادة ولا نلقي لها بالا في حين تعمل هذه السلوكات من حيث لا ندري على النباهة والفضول من أنفسنا أولا ومحيطنا وللوجود ولهذا كان المشي وهو موضوع بحثنا مسلكا ومعبرا بينيا بين هذه الأبعاد في الزمن والمكان الذي نحن فيه ونتأمل أن يوجد فينا بما فيه من عفوية وإرادة ومن فطرة وفطنة ومن طبيعة وعقل ومن جليل وجميل ومن هنا تأتي أهمية الموضوع وما يمكن أن يطرحه من تساؤلات نراها تحيط ليس بإشكالية بقدر ما تدفعنا إلى تثوير اللغة في بعده اللساني وإسقاطها على موضوعات أخرى

تحفل بتناولها لهذا الموضوع في حقل أخر ولهذا سوف نتدرج من اللغة من خلال نوع من التأثيل في المعاجم ومن الشعر ومن الشواهد قبل ذلك القرآنية ومن الأحاديث النبوية الشريفة إلى أن نصل إلى رحاب اللغة السردية ومنازلها ومخرجاتها في موضوعنا .

و"المشي" قبل هذا المقام بضاعة لغوية قديمة سابقة ومعنى أنتجته سوق المعاجم بمعناه اللغوي ،الذي يدور في دائرة الأثر ويتسع صدر المعجم لهذه الكلمة فنجد لها مرادفات مختلفة ،يأخذ كل منها معاني تصف الحال والمآل الذي هو عليه من تلك الكلمات ، يحضرنا من الكلمات هذه الدالة على نفسها وفي مكنونها مادة ثرية ، نرى أنها تسعفنا في بحثنا هذا ، نقتصر هنا على بعضها فمنها الأوصاف التي يكون عليها فعل مشى في قولهم " أتل يأتل أتلا (بالكسر) واتلانا: قارب الخطو في غضب قال الشاعر:

أَرَانِي لاَ آتِيْكَ غلا كَأَنَّمَا ..أَسَأْتَ وَإلاَّ أَنْتَ غَضْبَانَ تَأتَلِ

فترى أن كل وصف له مآله من التعبير والمغزى والمقصد ،الذي ينتهي عنده مراد المتكلم وهو يعكس كما ذكرنا السوق التداولية في مناحي الحياة في لغة العرب ، في زمنها الحضاري الذي تملكهم وامتلكوه ويمكن للمتأمل في الاستعمالات المذكورة يرى أنها تخدم مطلبين :أولهما ـ زمني : من خلال الحركة التي تكون عليها الخطى وثانيهما مكاني معنوي يحفل بالأوصاف ،التي فيها سكينة فتتصاقب(بالمغزى الذي أراده ابن جني) الخطى مع حيزها فمنها المسرعة التي فيها تنافر وعدم استشعار بالسكينة ويمكن أن نستحضر هنا بعض الشواهد على ما ذكر، منها ما ورد في قوله عليه الصلاة والسلام عن مكة " [1](موسوعة المعاني)

"عن ابنِ عباسٍ, قال : لما خرجَ رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم من مكةَ قال : أمَا واللهِ إني لأَخرجُ منكِ وإني لأعلمُ أنك أحبّ بلادِ اللهِ إلى اللهِ ,وأكرمهُ على اللهِ ؛ ولولا أهلكِ أخرجُوني منك ما خَرجتُ

الراوي : عبدالله بن عباس |المحدث : ابن عبد البر |المصدر : التمهيد |الصفحة أو الرقم | 6/33 : خلاصة حكم المحدث : (من أصح الآثار) |التخريج : أخرجه الترمذي (3629)، وابن حبان (3709)، والطبراني (329/10) (10633) باختلاف يسير

"وَعِنْدَمَا كَانَ بِلاَلٌ يَشْتَدُ بِهِ الحَنِيْنُ إِلَى مَكَةَ، فَيَنْشُدُ:

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيْتَنَّ لَيْلَةً ...بِوَادِ وَحَوْلِي إِذْخر وجليل

وَهَلْ أَرِدَنَّ يَوْمًا مِيَاهَ مجنة ...وَهَلْ يَبْدُونَ لِي شَامَةٌ وَطُفَيْلٌ [2] (الدرر السنية)

وقبل ذلك يمكن أن نعود إلى حركة تمرد قادها شعراء الصعاليك وهم من عرفوا بأسفارهم ورحلاتهم المتمردة على سكون القبيلة وسلطتها ،حتى إن الشعر المنسوب إليهم تجد فيه مسحة الثورة ،التي عاشوها واختيارهم هذا الترحال كشكل يحتوي موضوعات القصائد الشعرية التي نظمها هؤلاء "إنّ انقطاع الصّلة بين الصعاليك وبين قبائلهم، من نواحٍ متعددة؛ اجتماعية واقتصادية و سياسية...أدّى إلى انقطاعها فنيا، وهذا الشرخ الذي حدث بينهما، وَلّد لديهم رؤى مختلفة ومخالفة في كثير من الموضوعات التي جادت بها قرائحهم، وإنْ غابت بعض الرؤى، كما جاءت في شعر القبائل، فإنّ الصعاليك وضعوا لها معادلا موضوعيا، تُردَّد في شعرهم، بحكم المحيط الذي ألفوه، بطبيعته، ووحشه، وإنسه، وبحكم مغامراتهم، وتربصهم بالقبيلة وأملاكها، وقوافل تجارتها؛ فحضر – بشكل جليّ- الوحش الذي اختاروه أهلا بديلا، لأنهم لجأوا إلى أمكنته، وسكنوا كهفه، واعتصموا بأعالي الجبال"[3] .(عبد الله،2000)

تحدى هؤلاء سلطة القبيلة وتخترق خطواتهم هذه الأنا الجمعية إلى الذات المتمردة ويتمثل لهذه الخطوة الشكل ،الذي يتناسب معها شعرا "على أنّه جزء لا يتجزّأ من ذاتيته الأعمق غورا، بينما يؤلف الشكل الذي يتظهّر به في نظره، هو كفنان، الوسيلة الأولى، اللازمة، العليا، لوضع المطلق، وروح الأشياء في متناول الإدراك "[4] (هيغل،1998)

وقد كان الحال هنا مع المعاصرين من الشعراء ،الذين كان هذا شأنهم في ترحالهم وأصبح المشي يمثل فعلا وظيفيا في نظمهم للشعر ومن بينهم الشاعر الفرنسي رامبو الذي يحضر في كتاب: المشي فلسفة[5] (غرو،2021)يذكر فريديريك غرو هذا الشاعر بوصفه مشّاءً ينقل عنه قوله: "أنا أمشي على قدمي، ولا شيء أكثر من ذلك"، مشى رامبو إلى المدن الكبرى فكانت مصدر الهام وقربا لتحقيق طموحاته الأدبية. يحضر المشي في جميع مراحل حياة رامبو بل ويختزلها أيضًا، خاصةً حين نعلم أن فبعضها أي أعماله الشعرية كان لها شرف الظهور في طرقات والشوارع التي مر عبرها قصائده ولدت على الطرقات" التي مشى فيها حتى تورمت إحدى ساقيه، واضطر الأطباء إلى قطعها. هذه لحظة فارقة في حياة الشاعر الفرنسي الذي ظل، رغم اشتداد مرضه الذي ألزمه الفراش، في انتظار ساق اصطناعية يواصل بها المشي بوصفه، حسب غرو، هروبًا متواصلًا من مكانٍ ما، وسعيًا مستمرًا للوصول إلى آخر".[6](ديب كتاب المشي)

وكذلك الحال مع شاعر أخر إنه الشاعر الفرنسي جيرار دي نيرفال، الذي يقول غرو إن المشي كان عنده نتيجة لشعوره بالكآبة، هروب من الواقع أحيانًا، وعودة إلى الطفولة وذكرياتها وأحلامها في أحيانٍ أخرى. وفي كلتا الحالتين، يبدو المشي محاولة لتجاوز كآبته، غير أن الأخيرة كانت أقوى لدرجة أنها جعلت من المشي: "سعيًا وراء المصير والإلحاح على بلوغ النهاية (...) إلحاح مهووس بأن يؤكد ما هو متوقع" (المرجع نفسه ابتداء من ص 52)[7]

يمكن القول في فعل المشي كمدخل للفلسفة والتدبر لأنه يرسم أبعادا متعددة يكتشفها المتأمل والمتدبر في أماكن معينة فتملي عليه تمثلاتها ومواقف تقوم على فهم اقرب للحياة وللآخرين بين مسالك الجليل والجميل بين لثوابت والمتحولات وهكذا نستشف من الحياة في اللاشعور ومضة في الذاكرة ونحن نعيد سجلات الممرات والطرقات والشوارع .

زمن المشي زمن السرد:

لازمت حكمة المشي كطقس من طقوس التدبر والتفكير ،بحيث يروى من ذلك أن لقب المتجول ارتبط بأرسطو لأنه كان عندما كان يقوم بتعليم مريديه كان يتجول ذهابا وإيابا ومثله من الفلاسفة والمفكرين فقد اعتبر المشي مصدر الهام وإيقاع لتصريف الأفكار وتشكيلها وقد اعتبره آخرون سلوكا لبزوغ الأفكار واقتطافها في هذا الطقس الروحاني، يروي (ريبيكا سولنيت، في تاريخ المشي) أنه " في أفضل حالته، هو تلك الحالة التي يندمج فيها العقل والجسد والعالم، وكأنهم ثلاثة أشخاص يتحاورون أخيرا، ثلاث نعمات اجتمعت، وفجأة، شكلت مقطوعة. المشي يسمح لأجسادنا أن تكون في العالم دون أن

تنشغل به يمنحنا الحرية لنفكر دون أن نخوض تماما داخل أفكارنا" [8] (المرجع نفسه ابتداء من ص 52)

يفيدنا هذا القول من الناحية التقنية في مجال السرد ويحيلنا على الصيغة ،التي هي إحدى التقنيات الهامة في الكتابة والتحليل السرديين، بحيث يحيلنا فعل المشي على الزوايا ،التي تشتغل عندما نكون في حالة مشي أو سكون ،بحيث تتفاعل مع المشي حالات ووضعيات ،يكون معها المعني طرفا في محيطه وهو في حالة المشي ،إنها حالة أخرى يمكن أن ندرج فيها أيضا المكون الأساسي أيضا تقنيات الكتابة والتحليل السرديين وهو الزمن زمن السكون وزمن المشي، يمكن أن نقول هنا بعبارة سارتر المعبرة بقطع رأس الزمن" كمقارنة بين الحالين ، إنه حالة إضفاء صفات على الأفكار المجردة ،يعكسها المكان ونحن نتفاعل معه فيساعدنا هذا الأخير على تحقيقها وتنزيلها ويجعلها في حالة اندماج قبول من قبل الفضاء [9](سيزا،1985.)

يقول الفيلسوف الفرنسي ميشيل دي مونتان"تنام أفكاري إذا ما جلست طويلا؛ لا يتحرك خيالي

وحده مثلما يفعل عندما تتحرك قدماي "

في سياق هذا القول ، يمكن أن نتحدث عن صلة المشي بالسرد ،على الأقل من وجهة نظر هذه الزوايا بل إن مؤشرات يستند عليه هذا الموضوع في المحاضن الغربية وهو ينتظر إطلالة من وجهات عربية في موارده الغنية ويمكن أن نرصد وجهة نظر ربما تفسر هذا التباين بحكم ما تعبر عنه الرواية الحديثة من مبادئ وأصول فهي رهينة المدينة كشكل وجوهر" تقنية كتابة التجربة الحضرية الحديثة، تلك التي تكون فيها المدينة سلسلة متواصلة من الاحتكاكات مع الناس الذين يعرفون عن بعضهم البعض القليل، حيث يلتقون بالصدفة ويفترقون بسرعة، هذه الكتابة التي برزت خاصة حول باريس في القرن التاسع عشر مع شارل بودلير وإيميل زولا وغوستاف فلوبير، ثم مع مارسيل بروست وجيمس جويس وفيرجينيا وولف، وهي أيضا ما يسمى «بكتابة المتجوّل» حيث «تصبح قراءة النص مثل المشي على الرصيف نفسه... ويتجاوز العمل كونه نصا عن المدينة إلى كونه اندماجا للتجربة الحضرية والنص نفسه، وينتهي كرواية وحيدة ليشمل تعددية التجارب في المدينة» [10] (كرانغ:،2005)

نحاول أن ننقل من هذه الثقافة ما يمكن أن يصل بين الكلمتين من قرائن ودوافع في حالات الاشتغال الفكري كتابة في كنف الفنون وهنا ننقل هذا الوصف الجيد لهذه الصلة في حياة يقول روسو: "لم أستمتع بالسير مثلما كنت أفعل في أيام شبابي. عندما كبرت، فرض عليّ العمل والالتزامات والأحمال أن ألعب دور الجنتلمان وأستقل عربة، لأجد حينها أن أشغالي ومشكلاتي وضيقي يستقلونها معي، وبدلا من أن أشعر كما كنت أشعر من قبل بمتعة الرحلة، صار همي الوحيد هو الوصول لوجهتي". [11] (مها،2019)

يعكس لنا القول صلة جلية بين الإبداع والمشي كما يحيلنا وهو الأهم عن الزمن وزوايا النظر ،التي تحيط لا بالمحيط والمقصود هنا المدينة ،التي يراها الكثيرون مركز الاشتغال السردي والسبب المباشر في نشأته وهو على كل يحيلنا على نقاش عربي في هذا المجال في نشأة هذا الفن في ظل وجود أو غياب المدينة كشكل وفكر ،هذا يحيلنا فعليا كيف نتفاعل مع المحيط وكيف يقوم هذا التفاعل على جملة من التمثلات ،التي من بينها هجرة الأفكار وتحاقلها مع العمل الفكري ،على غرار الكتابة السردية في نوعها المميز : الرواية ننقل هنا شهادة أخرى ،تأتي على هذه الروابط ومخيلة أصحابها يقول المُفكر والأديب هنري دافيد ثورو عن هذا: "أشعر بالقلق عندما أجد نفسي قد سرت مِيلا في الغابات بجسدي دون عقلي. ففي مشية بعد الظهيرة، أكون مسرورا عندما أنسى كل مشاغل الصباح والتزاماته لكنني في بعض الأحيان، أجد صعوبة في إبعاد تلك الأفكار عن رأسي. ثم أتساءل، ماذا عساي أفعل في الغابات وأفكاري تدور حول أشياء خارجها وأول ما تطأ أقدامنا الطريق

وقد تركنا كل شيء لنسير فقط، تتخذ أفكارنا ومشاعرنا منحى مختلفا كثيرا عن ذلك الذي يراودنا في غرف المكتب أو البيت المغلقة"[12](عبد الله،2000)

في الجريمة والعقاب لدوستيفيسكي ننقل هذا المسرد" الأسقف الواطئة والغرف الصغيرة تخنق الروح والعقل " وتقول وولف: "ونحن نخرج من البيت في مساء رائق بين الرابعة والسادسة، نتجرد من ذاتنا التي يعرفها الأصدقاء، نصير جزءا من جيش المجهولين الذين يسيرون في الشوارع". تتحدث وولف بعد ذلك عن ثقل تلك الهوية التي يحمل كل غرض وكل قطعة أثاث في البيت تفصيلا منها: "نجلس في غرفنا محاطين دائما بتلك الأغراض التي تعبر عن ذواتنا وتفرض علينا ما تحمله من ذكريات". أما خارج البيت، خارج ذلك الحيز المُثقَل بالذات والذكريات، نسير خفيفين كالهواء، مجرد جسد يمشي وعين تبصر ما حولها: "نغلق الباب وراءنا ويختفي كل ذلك. القوقعة التي تختبئ وراءها أرواحنا لتجعل نفسها مختلفة عن الآخرين تنكسر، ومن كل تجاعيد وصلابة تلك القوقعة، لا يبقى سوى محارة تدرك الأشياء، عين عملاقة".[13] (برانس قاموس السرديات)

لا شك أن المدينة ،التي تعد فضاء للإبداع وغزارة المخيلة هي الدافع الأكبر لهذا الدفق السردي ،الذي كانت عليه الكاتبة تقول ""أثناء مرورك، أثناء نظرك، كل شيء يبدو كما لو كان مرشوشًا، مصادفة وبشكل إعجازي، بمسحة من الجمال، كما لو أن أمواج التجارة التي ترمي أحمالها بدقة فوق شواطئ شارع أكسفورد لم تلق هذه الليلة سوى الكنوز. بلا نية للشراء، تنظر العين بسخاء لمّا حولها وتُجمّل كل شيء".[14](المرجع نفسه)

وكذلك هي التمثلات فعندما نتمثل النص في مكان وعمران بأدوات واليات مفعمة بالحمال ،الذي نراهن من خلاله في مكاشفتنا لطبيعة هذا النص وكيف يتفاعل بصورة عمرانية مع الموجود والرغبة في ما لو كان عليه الموضوع بالصورة التي يراها النص ويراها من خلال فعل القراءة ،التي بدورها تكون كشفا عن معطى لم يفصح عنه النص ضرورة ،يقول تيزفتان تودورف عن المكان في أحد كتبه بأنه «فضاء عالم النص، وهو ليس لغويا وان كانت أداته اللغة. انه تقنية، حركة زمن السرد " [15].(تيزفتان: ما البنيوية)

في جهة من محل أو وفي رصيف هناك، يشارك الجميع بدور معين ،يعطي مساحات أفضل لحرية الكلام ،حرية الجسد ،الأفكار في المقهى ،سينما أماكن عامة ... نرتادها وكثير من التفاصيل بحيث لو عدنا إلى معدل النشاط الحسي وساعات الكلام الذي تحدثناه في هذه الأمكنة لذهلنا هذا ما يمكن أن يحصل عفويا في حياتنا اليومية العادية ولكن اللحظات هذه هي مصدر الهام عند البعض ، تحدثنا فرجينيا وولف تقول في سياق ما هذا الكلام " يمكننا أن نخترق قليلًا تلك الحيوات الأخرى، أن نذهب داخلها بعيدًا كفاية لنعطي أنفسنا إيحاءً خادعًا أننا لسنا مربوطين لعقل واحد، أنه بإمكاننا ولو لثواني ارتداء أجساد وعقول أخرى. يمكن للواحد منّا أن يصير بهذا خادمًا، أو صاحب حانة، أو مغني شارع. وأي سرور ودهشة يفوقان تلك التي تعترينا عندما نترك الخطوط المستقيمة لشخصياتنا وننحرف وراء الخطوات التي تقودنا لحيوات غيرنا من البشر؟ "[16] (مها،2019)

إنها علاقة مخاتلة بين خطى وأفكار ،شيئا يبدو عصيّا على الاستيعاب ،يمكن أن تتقارب الدوافع التي تجعل سوق التداول قي حياة المجتمعات أكثر شيء يدفع بغزارة التمثل والتنزيل ، في كتاب "تاريخ المشي" لصاحبته ريبيكا سولنيت ، تحاول الكاتبة أن تحفز هذا التحاقل في سوق التداول تقول: "يُولّد إيقاع المشي نوعا من إيقاع التفكير، حيث المرور عبر المساحات يُحفز ممرات موازية عبر الأفكار. يخلق هذا تناغما غريبا بين الممرات الداخلية والخارجية، تناغما يشير إلى أن العقل أيضا هو، نوعا ما، مساحة، وأن المشي هو طريقة لقطع تلك المساحة.

فكثيرا ما تبدو الفكرة الجديدة لنا وكأنها مَعلم في تلك المساحة، معلم كان هنالك منذ البداية، وكأن التفكير هو عبارة عن سفر نصل عبره لذلك المعلم،

وليس مخلوقا من لا شيء "[17] (يقطين،2011)

فكما نرى يشتغل زمن السرد بحيوات متعددة ،أثناء تزامنه مع فعل المشي ،حيث تتجلى زويا نظر مكثفة من هنا وهناك، تحتاج إلى مخيلة واقدة ،إنها كما يقول جون بول كوفمان. " أن نحصل على قبضة من الهواء النقي وتجوال بلا كلفة تتوجهما: الحرية، حيث المتجوّل الطليق يختار الاتجاه الذي يريد، ويذهب ويرجع من دون أن يستشير أحداً، هذا هو معنى المشي، أو إنه :تجوال منعش متقشّف يحتاج الساقين لا غيرهما، يضع أمام السائر جمالاً لا يتوقعه، كما لو كان المشي تحرّراً لطيفاً تنتظره مكافأة .فعندما نمشي تأتينا الصور والذكريات والأفكار مهرولة، آخذة بعدا قهريا (عدنان،2017)[18]

المشي وزويا النظر :

في هذه اللحظة ، استشعرنا محيطنا ونحن نرمي بالخطوات الأولى المتحررة ، مندفعين نحو كل الاتجاهات ،إنها المتعة التي ستلازمنا ما دمنا على قدم وساق في هذه الحياة ،إنها الرغبة العارمة التي يتكثف فيها الزمن ليغرف من الحياة كل جميل ومشاكسة كل فضول ، في رحلة زمن صافي لم يتدنس بعجلة التفكير والتقانة الحديثة ،تلك التي جعلت من الإنسان مسخا ومخلوقا يهوى العبودية(القابلية :مالك بت نبي) ،التي جرتها التقنية الحديثة ،أين تكبح فيها رغبة المشي ويخطف زمن الحياة ، وراء زمن لاهث وراء المادة و تقديسها ، إنه تقديس منظور زمن ينسينا الصورة الأصل ، عندما لم يعد بمقدورنا أن نستشعر الحياة من خلال المشي ، بحث روسو في الطبيعة أين استشعر هذه الجنة وهو يمارس طقس المشي في الغابة "طوال بقية اليوم، كنت أتوغل في الغابة، أبحث فيها، وقد وجدت هناك صورة الزمن الأول الذي كنت أرسم تاريخه بفخر" (توفيق ،2019).[19]

زمن البدء الذي لا تغول ولا خبث فيه ولا دنس ، المشي في هذا الطقس زمن عتيق ، زكي يفوح بالجمال وجلال الفضائل والمكارم ، اكتشف روسو أن الجنة الحقيقية في البدائية ، إنه الخلاص المبارك من جحيم حديقة العالم الصناعية والأفكار التي أصبغها النظام الجديد ،من خلال المدينة وقيم الرأسمال ومعبود القرن المال ،هذا العهر الذي أفسد على الإنسان المشي ،بالنسبة لروسو ،إنه اللحظة الوحيدة المتحررة كما يقول من ضرورة حمل شعورٍ ما، خبيث أو أخوي، تجاه الآخر الذي يكون حضوره محايدًا خلال المشي لكن زمن المادة يبدو أنه زمن لا مفر منه، في هذا المشهد حين تلبست بالإنسان متع الحياة القاسية على قيم الجمال "صار المشي هكذا غير عملي، أبطأ مما تسمح به سرعة الحياة الآن، ولنواكب تلك السرعة، استبدلنا أقدامنا بالسيارات، ضامنين بهذا أن نصل في أسرع وقت ممكن حيثما نريد، لكن مضيعين ما وفرته خُطانا من متعة استكشاف المكان. فمن نافذة سيارة مُسرعة، يتحوّل الأفق لبقعة غير مميزة الملامح، إلى دوامة من الأشكال العابرة والألوان. وهذا ليس الشيء الوحيد الذي نفقده بتوقفنا عن المشي، هنالك ببساطة متع متعددة وعوالم أخرى تفتحها لنا خطى أقدامنا عندما تترك الطريق المعتاد، وتذهب بعيدا عن سعيها الرتيب وراء قضاء مصالح الحياة. فكل طريق جديد نسير فيه بعيدا عن فلك اليومي والمعتاد، يفتح ممرا مقابلا لدواخل أرواحنا، وتحفر أفكارنا ممرات موازية داخل العقل. فباتساع رقعة السير تتسع النفس."[20] (مها،2019)

يذكر روسو أيضا في هذا السياق " لم يقدَّر لي قط أن أكون أكثر تفكيراً، وأكثر استمراءً لوجودي وحياتي، وأكثر قرباً من حقيقتي مما كنت في تلك الرحلات التي كنت أقوم بها سيراً على قدمي، ففي المشي شيء ينعش نشاطي ويسمو بأفكاري. وأنا لا أكاد أفكِّر عندما أكون ساكناً، لا بدَّ لجسمي من أن يكون في حركة حتى يتحرك عقلي" [21](توفيق ،2018)

لقد خاض كثير من المبدعين تلك التجربة ،التي راهنوا فيها على خطاهم لتحمل أفكارهم واختراق عوالم بديلة ، الأمر فيه بهجة يحتويها المشي برحابة، يخرج النفس إلى سعة حتى وإن كان الأمر متعلقا بنوع المشي ،بغرض حياتي أو بطواعية من الوجهة الوظيفية المحددة في لحظات متحررة من الحسابات ، التي تحيل دون متعتنا بالحياة ، يكون المشي انعتاقا من الرتابة ،من مصاعب الحياة وقساوتها فمن شأن ذلك أن يقود النفس إلى السكينة ويأخذنا إلى حيوات متعددة ،في أزمنة أشد تفاؤل ، من نور المصباح في الأماكن الضيقة الحاجزة إلى نور الصباح ،في الفضاء المفتوح أين تتوارد الخواطر عبر الحنين وعبر التطلعات لزمن أفضل ،تتناغم معه تلك اللحظات كحركة وسكون وقافية ناعمة وبحر متناغم ،منتظر أن ترى الكلمات إيقاعها المنتظر فتنتعش النفس على امتداد تلك الإيقاعات على امتداد الخطوات وامتداد المسار ليعانق هذا الامتداد سكون الزمن وسكينته ، كان كريغارد الانطوائي والمكتئب منذ الولادة، يحتاج إلى بعض الضوضاء، إلى بعض الضجة المدينية لكي ينسى حزنه الشخصي ويستعيد مقدرته على التفكير والكتابة .وهذا ما وجده في كوبنهاغن التي كان المشي في شوارعها وسيلته الوحيدة للاحتكاك بالآخر، لأن يكون بين الناس، وهو العاجز عن مخالطتهم ونسج صداقات معهم[22](المرجع نفسه)

الحديث هنا عن المشي في الطبيعة،حديث عن موضوعات جميلة لكن الحديث عنها من منظور أو زاوية المبدع هو ما يجعل قيمة العمل الحقيقية و التي خلدها الزمن لكتاب وأدباء ومفكرين، في لحظة البحث عن الزمن الجميل ،عن مدن فاضلة وعاصمة الفطرة ،التي اغتصب منها حكم هذه المدن بفعل زمن التوحش ،زمن مدينة كانتونات تظم ملايين البشر ، يسيرون في كل الوجهات بجانب بعضهم دون تمهل ،غرباء يحضر أيضًا في كتاب فريديريك غرو هنري ديفيد ثرو ،من الذين ارتموا في الطبيعة في غاباتها والعيش فيها في موقف مبكر من الرأسمالية بدايات القرن التاسع عشر ،إن المشي يقول ثرو ليس: "مسألة حقيقية فقط، وإنما هو مسألة واقع كذلك. المشي هو القيام بتجربة الواقع. ليس الواقع من حيث هو مظهر خارجي مادي خالص، وليس من حيث هو ما يهم الذات، ولكنه واقع ما يصمد: إنه مبدأ الصلابة، والمقاومة" (المرجع نفسه)"[23]

لكن يحمل ذلك بدوره متعة أخرى ،بالنسبة للبعض ففي حين تنحصر العلاقات في الأماكن المحصورة كالقرى والمداشر ،بحيث الصلات مقرونة بالقرابة والسلوكات المحدودة ،ضمن نسق قبلي ،تكسر المدينة بطريقة راديكالية هذا النسق ،إلى نسق فيه تحرر فعلا من تبعة القبيلة لكن تستسلم وتصبح في نسق آخر ،حيث تتدافع الأجساد في موجات بشرية ،ساعات الظلام تقترب ،الأنوار والمصابيح تجعل الليل نهارا لا ينقطع معها السيل البشري ،الحنين مرة إلى المكان الضيق ،الذي يحيلنا على راحة مؤقتة ولحظات لاستعادة الأنفاس ،هذه العودة التي ينتظرها المشاء في هذا الفضاء الرتيب زمنيا وتتكرر معه التفاصيل نفسها ،التي ننتظر أن نكررها في اليوم الموالي .

المشي :بوليفينيا زمن ومنظور :

كتاب "المشي فلسفة للمفكر والفيلسوف الفرنسي لفريديريك غرو(مفكر فرنسي1965) كتاب فلسفي(ترجمة سعيد بوكرامي) ،عبارة عن تأملات في موضوعات متنوعة حول المشي وسلسلة من التجارب لكتاب ،مفكرين ،شعراء يعتبر المشي بالنسبة إليهم مصدر الهام اعتبر أن المشي نشاط ذاتي ، سنده الوحيد قدمان فقط ،دون اكراهات أو لوازم أخرى ،حركة تبرز حركة مرور مرسومة بين شبكة من النقاط ،التي تجعنا نلتقي مع الآخرين في مشاغل الحياة أو في نقطة بعيدة لتأملات الذات أو في أمكنة ،حيث مواعيد مختلفة تجعلنا في مرماها ،بين حركات بطيئة وسريعة ،بين اشتغال الذات بما حولها وبين ارتباطها بمصلحة الأخر ،حيث يمكن أن تكون تلك اللحظات زمنيا في تمدد أو انقباض فتحدد طبيعة الأحداث وهو ما يشغل كما ذكرنا مكونات وأدوات التحليل السردي "يضيف فريديريك غرو إلى ما سبق أن المشي،

على عكس الحكمة القديمة والمدارس الفلسفية التي اهتمت بالفصل والتمييز بين مشاعر الفرح واللذة والسكينة والسعادة، يتيح المجال لتجربة جميع هذه الاحتمالات بدرجات متفاوتة وأشكال مختلفة في آنٍ معًا، وتحديدًا حين تكون الغاية من المشي هي التنزه"[24](ديب،2022)

مشى نيتشه في البداية هربًا من صداعه، ثم وجد في المشي فرصة لمحاورة الذات وتأليف الأفكار التي شكلت أساس أكثر مؤلفاته أهمية ،المشي عند نيتشه في الحقيقة كان إرادة لانتصار الجسد المهزوز بالإسقام ،نسق وفهم للحياة التي كان عليها المفكر في لحظة ما ، يكشف المشي مصدر الهام بعدما كان في أحوال كثيرة أخرى وسيلة لإعادة استرجاع القوة والإرادة ،إنه في هذه اللحظة يكتشف نيتشه ذاته وفي هذه الظروف الهادئة يحاورها عن قناعاته ومنها كانت الكتابات المتنوعة ،التي يعرفها القارئ منها هربًا من صداعه وعجزه عن القراءة، فإذا بالمشي يتحول، مع مرور الوقت، إلى فرصة لمحاورة الذات وتأليف الأفكار "المسافر وظله" الذي يقول إنه أنجزه خلال المشي وبفضله: "كل شيء في هذا الكتاب، ما عدا ربما بعض الأسطر، تم التفكير فيه وأنا أمشي، وتسجيله على عجل في ستة دفاتر صغيرة". (غرو ،2021،ص 21)[25].

أصبح المشي بالنسبة إليه مجالا للتفكير والاشتغال الفكري و مصدر الهام حتى انه اشتهر بمقولته بأنه يكتب لا بيديه بل بقدميه ويقول: "لا تُصدق أي فكرة لم تولد في الهواء الطلق أثناء التحرك بحُرية، الجلوس -قلتها مرة وسأكررها ثانية- هو أكبر خطيئة".[26](المرجع نفسه ،ص17) يعلق فريدريك جروس أن الأفكار "الطازجة " تولد خارج حدود الحوائط، حيث الأفق الممتد، وحيث الجسد يسير وتتدفق معه الأفكار في حيوية وانتعاش. يقول نيتشه: "نحن لا ننتمي إلى أولئك الذين لا تأتي أفكارهم سوى من الكُتب. فمن عادتنا التفكير في الخارج، سائرين، قافزين، مُتسلقين، راقصين، ويا حبذا لو كان هذا عند جبال وحيدة، أو بالقرب من البحر، حيث آثار الأقدام نفسها تقف كشواهد متأملة". فالأفكار التي لم تغسلها أشعة الشمس ولم تطوقها نسمات الهواء، الأفكار التي ولدت من أفكار أخرى هي ليست سوى إعادة تدوير لها، تصير عطنة كالغرف المغلقة التي أنجبتها. [27](المرجع نفسه ص22) كتب نيتشه لشقيقته رسالة يذكر فيها بأنه يبدأ نهاره «بالمشي لثماني ساعات يومياً .وفي الأثناء أؤلف أفكاري». في هذه القرية، تحوّل نيتشه إلى المشَّاء الكبير الذي عرفه تاريخ الفلسفة فيما بعد لقد اعتاد هؤلاء المشي طويلا في أحضان الطبيعة، حتى إن أخت الأخير عندما سُئلت عن مكان مكتب أخيها أشارت للأفق حيث الخضرة والأشجار، وفي سيرهم هذا، كان أن واتتهم أفضل أفكارهم.

الخاتمة

يحيلنا موضوع المشي والسرد معرفة الشبكة الدلالية المصاقبة (ابن جني) بين المدلولين واقترانهما في سوق التداول ،نستطيع القول أن ما وجدناه هنا من صلة ما هو الإطلالة راهنة بزمن وبمعلومة ،ترهن أمرها للزمن وأمرها لزاوية نظر أيضا ،ترهنها اللحظة التي كتبت فيها وأيضا لحظة وقعها وأثرها ومدى استيعابها وتنزيلها ساحة الفهم ،التي ترتبط بمآلات هذه الورقة في حدود الاستيعاب وإيصال ذلك بالقناة ،التي تأمل أن تتفوق الورقة البحثية في إيصالها ولأهمية الموضوع ومثله بالنسبة إلينا نأمل أن تتفوق المساعي في هذا الجمع الكريم ،لإفتكاك الفتح وتحقيق شبكة تداولية معرفية بهذا الخصوص نختمها بهذه النتائج :

ـ يتبين من حيث هذه المقاربة الأهمية الكبيرة للدراسات البينية ونجاعتها .

ـ زوايا النظر أو الأبعاد أو الصيغة أو التبئير مصطلحات سردية كلها تحيل على أهمية البينيات في عملية التحليل .

ـ الفعل اللغوي لا يمكن إلا أن يدرس وفق منظور تداولي وهو البينيات في سياق هذا البحث وهو ما أثبتناه .

ـ يمكن أن تكون المراسلات الملاحظات الكتابات السرد ذاتية المذكرات ..التي نكتبها إحالة على بؤر الكتابة التي نتمثلها انطلاقا من تجارب الحياة ليس فقط مع المشي بل يمكن ان تحمل ذكريات الحواس وبالتالي يثبت بأننا مخلوقات سردية بامتياز .

التوصيات

يمكن أن تكون المسارد الإنسانية بكل تشكلاتها العالم الحقيقي ،الذي نريد أن نكون عليه ويمكن هذا الفضاء أن يسع الجميع بكل الاختلافات ويمكن من خلال عمل التجسير والعمل البيني أن يسعنا العالم دون فرقة أو تحيز فلنكن مخلوقات سردية ولنكن بذلك أحسن صورة لما هو عليه الكون في هذا التناسق الجميل الذي يتشكل من المفاهيم التي أرادت بزوايا نظرها الأحادية الى التحيز به الانشطار والانفجار والصراع والأنانية .

المصادر والمراجع

فريديريك غرو (2021) المشي فلسفة ترجمة سعيد بوكرامي ،دار معنى للنشر و التوزيع .
جيرارد برانس قاموس: السرديات ،ترجمة السيد إمام ،مكتبة بستان المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع
سعيد يقطين (2011)رهانات الرواية العربية :بين الإبداعية والعالمية، (بالاشتراك مع محمد القاضي)،سلسلة رؤى ثقافية، رقم1، النادي الأدبي بالرياض.
سعيد يقطين :(2006) دون كيخوطي :قراءات مغربية ، منشورات كلية الآداب ، عين الشق / الدار البيضاء .
عبد الله ابراهيم (2000)السردية العربية بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع.
عبد الله إبراهيم (2016)موسوعة السرد العربي دار مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم .
عبد الله إبراهيم (2002)النثر العربي القديم، الدوحة، المجلس الوطني للثقافة،.
قاسم سيزا أحمد(1985) بناء الرواية. دار التنوير. بيروت .
مايك كرانغ: (2005)الجغرافيا الثقافية. ترجمة سعيد منتاق.سلسلة عالم المعرفة.
عبد الله ابراهيم :(2000)السردية العربية بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع.
جيرارد برانس: قاموس السرديات ،ترجمة: السيد إمام مكتبة بستان المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع
تودورف تيزفتان: ما البنيوية. ترجمة: عبد الكريم الشرقاوي - الناشر: دار توبقال للنشر
سعيد يقطين رهانات الرواية العربية :بين الإبداعية والعالمية، (بالاشتراك مع محمد القاضي)،سلسلة رؤى ثقافية، رقم1، النادي الأدبي بالرياض،1432-2011
فادي توفيق(2018) أنت تمشي إذن أنت تفكر https://www.alarabiya.net/qafilah/2018/04/0 2018/04/04
مصطفى ديب:(2022) كتاب المشي فلسفة ..معنى المشي وأثره فبراير 2022 https://www.ultrasawt.com
مها فجال : (2019) كيف يساعدنا المشي على الإبداع والتفكير ؟ https://www.aljazeera.net/ 12 /2019/01
موسوعة المعاني مادة (أ.ت.ل) https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%A3%D8%AA%D9%84/
موسوعة الدرر السنية https://dorar.net/hadith/sharh/5853
محمد بَرُّونـة شعر الصعاليك. قراءة في المتن https://journals.openedition.org/insaniyat/1046